

في مدارس المرحلة الأولى

المنهج الجديد للغة العربية - ماله وما عليه

لأستاذ صالح قمرور

المدرس بمدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية

١ - خطة الدراسة الجديدة : صدرت هذه الخطة بالقرار الوزاري رقم ٧٤١٤ بتاريخ ١٩٤٧/٧/٥ ولكنها لم تبلغ للدارس لتنفيذ هذا إلا في ديسمبر سنة ١٩٤٧ . وقد احتاج المدرسون إلى وقت لفهم هذه الخطة وتشرّب روحها ، وخاصة لقلة النسخ الموزعة على المدارس ولم يصرف سوى نسخة واحدة لكل مدرسة تداولها مدرسو المواد المختلفة ، وقد استغرق ذلك زمنا طويلا ولا سيما في مثل هذه المدرسة الكثيرة العدد والتي يزيد مدرسوها على الأربعين . يضاف إلى هذا قلة المصادر التي يرجع إليها المدرسون وكتب الدراسة التي تداولها التلاميذ ، ومع ذلك فإن المكتب المدرسية الحرة التي ظهرت وفقا للمنهج الجديد ظهرت بعد نحو شهرين على الأقل من بدء التنفيذ . وعلى هذا لا نستطيع أن نعتبر هذا العلم بحال قياسا لنجاح هذه الخطة أو فشلها ، فلا بد من فترة طويلة تستوفي فيها كل الوسائل التي تمكن من الحكم على هذه الخطة حكما بعيدا عن الهوى .

٢ - المدارس النموذجية : وقد يقال إن هذه الخطة جربت لعدة سنين بالمدارس النموذجية الملحقه بمعهد التربية العالي للمعلمين ؟ وهي لم تعمم في المدارس إلا بعد التأكد من نتيجة التجارب التي قلم بها أساتذة المعهد ؟ وجوابنا على ذلك أن نجاح هذه الخطة في المدارس النموذجية الملحقه بالمعهد لا يعد دليلا كافيا على ملائمتها لساائر المدارس وتوقع نجاحها فيها ، فإن المدارس

النموذجية تنفقي تلاميذها ومدرسيها، وفقا لنظام خاص من شأنه أن يمدها بالصفوة المختارة منهما، كما أن عدد تلاميذ الفصل محدود وليس بها بهذه الضخامة التي زارها في سائر المدارس، والمدرسة المزودة بكل الوسائل التي تساعد المدرسين والتلاميذ على النهوض بعبء المنهج على الوجه الاكمل والمدرسون بها غير مرهقين كزملائهم بمدارس المرحلة الاولى، ومكتبة التليذ بالمدرسة عامرة بأنواع المؤلفات التي تنفيده في دراسته.

وهذه كلها أشياء غير متوفرة في مدارس المرحلة الاولى وخاصة الاولى منها، فبحاج هذه الخطة في المدارس النموذجية ليس دليلا كافيا على ملائمتها لبقية المدارس قبل اختبارها الاختبار الكافي لهذه البيئة الجديدة.

٣ - نظرة عاجلة في هذه الخطة : تعتبر هذه الخطة محاولة ناجحة للأخذ بيد اللغة العربية والنهوض بمستوى تدريسها في مدارس المرحلة الاولى، فاذا أمكن تنفيذها بدقة وعناية وتوافرت لها كل شرائط النجاح أنبت نباتا حسنا وأنت بأطيب الثمار وخاصة بعد أن تقلص ظل اللغة الأجنبية في مدارس المرحلة الاولى، وقد كانت هذه اللغة منافسا خطيرا للغة القومية في مدارس هذه المرحلة، وسنتنظر بشيء من التفصيل فيما اشتغل عليه المنهج الجديد للغة العربية :

١ - الغرض من تعليم اللغة العربية في مدارس المرحلة الاولى كما جاء بمقدمة المنهج (أن يصبح الطفل في نهاية هذه المرحلة قادرا على التعبير عما يخالج نفسه من أمور عادية بلغة سليمة بالقدر المستطاع في غير تعثر أو خجل، وأن يستطيع تنظيم مجموعة من الأفكار في موضوع من الموضوعات التي درسها أو مسألة من المسائل التي يشترك الناس في الاهتمام بها وكتابتها في أسلوب يجمع بين الترتيب والقوة، وأن يكون قادرا على فهم ما يسمعه من الناس وما يقرؤه لهم متذوقا جمال الشعر والنثر، مشغوقا باستقصاء أحوال البشر وتفهم سلوكهم، قادرا على تقدير قيمة الأشياء وصحة الحكم عليها.

وهذه الأغراض هي بعينها ما نهدف إليها من تعليمنا اللغة العربية في جميع مراحل التعليم وقبلها فصل، فليس من المحقول والحالة هذه أن يصبح الطفل في نهاية المرحلة الأولى التعليمية (متذوقا جمال الشعر والنثر قادرا على تقدير قيمة الأشياء وصحة الحكم عليها) فنحن لم نستطع إلى الآن تحقيق هذه الأهداف في التعليم الثانوي بل ولا في التعليم الجامعي نفسه.

مع ذلك فهل استطاعت المدارس النموذجية الملحقه بمعهد التربية بقسميها الابتدائي والثانوي وقد جربت هذه الخطوة طويلا تحقيق هذا الغرض. إنا نشك في ذلك كثيرا ١١

ب - القراءة والتعبير : يمتاز هذا المنهج عن غيره من المناهج السابقة ببنائته الفائقة بالقراءة والتعبير وربط ما بينهما ربطا محكما ، وهذا اتجاه جديد محمود في تعليم اللغة العربية يتفق مع أحدث الأساليب في تعليم اللغات عامة . وللقراءة أهمية كبرى في هذا المنهج فقد تعددت أنواعها ، فمن قراءة صامتة إلى قراءة جهرية إلى إنصات لشخص يقرأ (الاستماع) وقد أدخل على القراءة الصامتة نظام البطاقات الذي من شأنه أن يبرن الأطفال ، على القراءة الصامتة . وتنوع القراءة يقتضى حتما تنوع المقرء . وهذا يستلزم أن تكون مكتبة المدرسة مزودة بالسكتب الجديدة التى تلائم مدارك الأطفال وتتفق مع ميولهم ونزعاتهم وتغريهم بالاقبال على القراءة والاعتراف من معينها الذى لا ينضب . فهل أعدت المكتبات المدرسية هذا الاعداد ، يؤسفى أن أقول إن مكتبة التليذ بالمدارس مهملة كل الاهمال بل لا تكاد توجد . فدرسة الجمعية الخيرية . وبها أكثر من ألف ومائتى تليذ . ليس بها مكتبة يستطيع أن ينتفع بها التلاميذ بل ولا المدرسون . فهذه نقطة يجب العناية بها ليمكن تنفيذ المنهج على الوجه الاكمل ولتكون القراءة منتجة ومحبة الى نفوس التلاميذ .

والبطاقات المدرجة التى أريد بها تعويد الأطفال القراءة الصامتة أهملت إهمالا يكاد يكون تاما فى معظم المدارس ، ويخيل إلى أن كثيرين من المدرسين لما يقتنعوا بقيمة هذه البطاقات ، فإن من يطلع على بعض السكتب

التي ظهرت هذا العام وفقا للمنهج الجديد والتي تعرض فيها أصحابها (وهم من غير مدرسي المرحلة الأولى) للبطاقات المتدرجة ، أقول من يطلع على هذه الكتب لا يستطيع أن يتمالك نفسه من الضحك لتصور المؤلفين البطاقات على هذه الصورة .

واسترشد بعض المدرسين (بالبطاقات النموذجية) التي أخرجها بعض مدرسي المدارس النموذجية الملحقه بمعهد التربية والتي أتوا فيها على خلاصة تجارب المعهد في هذا الشأن .

والذي أريد أن أقوله إن تدريس البطاقات هذا العام أهمل إهمالا يكاد يكون تاما أو تحول إلى عمل آلي لاغناء فيه .

أما التعبير وهو مرتبط بالقراءة تمام الارتباط فقد أصبح في المنهج الجديد ملائما لكل الملامه لميول التلاميذ ، لأنه متصل اتصالا مباشرا بالبيئة التي تحيط بهم وبالمجتمع الذي يعيشون فيه ، كما منحهم الحرية في اختيار الموضوعات التي يعبرون عنها ، وأصبح مجاله أوسع فليس مقصورا على حصص الانشاء بل شمل أيضا دروس المطالعة وغيرها من سائر دروس اللغة . وتكون فائدته أتم لو تعاون جميع مدرسو المدرسة على تعويد التلاميذ التعبير السليم ليس في حجرة الدراسة فحسب بل وخارجها كذلك في أثناء الفصح والالعاب النشاط المدرسي ... الخ

التصحيح : وما دما بصدد التعبير فلتتكلم عن الطريقة الجديدة لإصلاح الانشاء التحريري ، فإنه لما كان الغرض من إصلاح كراسات التلاميذ (هو إمام المدرس بقيمة ما وصل اليه الاطفال من الاستفادة من التعبير الشفهي والقراءة وغيرهما) لذا كان (خير وسيلة للإصلاح إنمائها الإصلاح المباشر الذي يشترك فيه المعلم والطفل في قراءة الموضوع والتنبيه على ما فيه من خطأ) والمدرس بهذه الطريقة لا يتمكن (إلا من تصحيح عدد قليل جدا من الكراسات بالاشتراك مع الاطفال) وقد يراجع بمفرده عدد آخر منها ولكنه ليس ملزما على كل حال إصلاح الكراسات كلها في سائر الموضوعات

بل يكتفى في كل موضوع باصلاح بعضها بشرط (أن يداول بين طوائف الاطفال بحيث يصحح في كل مرة لطائفة منهم حتى ينتهي من التصحيح لهم جميعا في موضوعات متفرقة) .

وهذه الطريقة علاوة على أنها مريحة للدرس لأنها رفعت عنه حملا ثقيلا إلا أنها مفيدة جدا للتلاميذ لانهم ينتفعون بالمناقشة التي تدور بينهم وبين أستاذهم لمعرفة موضع الخطأ فتقل بذلك أخطاؤهم بالتدريج .

ولكن بعض المدرسين وبعض المفتشين كذلك يأبون إلا أن يظل الحل ثقيلا عليهم ولو لم ينتفع الاطفال بهذا العبء المرهق الذي لاغناه فيه . وقد بنى بعض حضرات المفتشين اعتراضه على أن هذه الطريقة تغضب أولياء أمور التلاميذ ولا أدرى مادخل أولياء أمور التلاميذ في مسألة فنية بحتة قررت بعد تجارب طويلة ورؤى تعميمها بعد صلاحها .

ج - التدريب على قواعد النحو : (النحو في مدارس المرحلة الاولى)
طبع الاطفال على الاساليب الصحيحة وتدريبهم على طرق استيعابها تدريجيا
عمليا أساسا المحاكاة والتكرار والملاحظة)

والوصول إلى هذا الغرض لا يتأتى من الإكثار من القواعد الضرورية وغير الضرورية ، بل يكون بكثرة القراءة الدقيقة المفيدة ومحاكاة الاساليب الصحيحة مع الاقتصاد على الضروري جدا من القواعد النحوية . وهذا هو ما اتجه اليه المنهج الجديد وهذا أيضا ما تسير عليه الاساليب الحديثة في تعليم اللغات الحية عامة .

ولكن يظهر أن تعليم اللغة العربية كما يتصوره كثير من مدرسي هذه اللغة لا يتأتى إلا بحفظ هذه القواعد الجافة والاكثار منها ومن التدريب عليها بتمارين هي إلى الالغاز والاحاجي أقرب منها إلى شيء يراد به تعليم الاساليب العربية المستساغة ، وأسئلة الامتحانات الخاصة والعامة تحت هذا النحوفأهملت سائر فروع اللغة وخاصة القراءة والمحفوظات إهمالا يكاد يكون تاما ،

فشجعت المدرسين على العناية الفائقة بتدريس النحو، فلاغربة إذا رأينا كثيرين من مدرسي اللغة العربية ومفتشيها غير راضين عن الخطة الجديدة .

وبمجرد ظهور المنهج أسرع بعض المدرسين والمفتشين باخراج كتب مدرسية في اللغة العربية وفقا للمنهج الجديد ولم يتصور هؤلاء اللغة شيئا سوى هذه القواعد البسيطة التي جاء بها المنهج، فاقصروا عليها دون غيرها من سائر فروع اللغة العربية كما كانوا يفعلون قديما .

د - الأملاء والخط : مزج المنهج الجديد بين الأملاء والخط مزجا تاما، فلم يجعل لكل درس فرعاً خاصاً بل جعل بعض الدرس إملاء وبعضه خطا، وهي طريقة جديدة على كل حال ولا بأس بها وقد نقل خط الثلث الى دروس الرسم وخيرا فعل فلم يكن الثلث ذا فائدة عملية للتلميذ وهو الى الرسم والزخرفة أقرب منه إلى اللغة .

هـ - المحفوظات والانشيد : ألغيت المحفوظات القرآنية في السنة الرابعة الابتدائية واقتصرت على ثمانين بيتا من الشعر و ٢٠ سطرا من النثر وكذلك في السنة الثالثة ، وقد أرشدت توجيهات المنهج الى ما يجب اتباعه عند اختيار المحفوظات والانشيد وهو توجيه حسن يجب الانتفاع به . الا أني ألاحظ أن أطفال السنة الرابعة سيقبل اهتمامهم بالمحفوظات والمطالعة بالتدريج وخاصة في آخر العام الدراسي، لالغاء الامتحان الشفوي للغة العربية في امتحان شهادة الدراسة الابتدائية - فيحسن إعادته كما كان مع ضرورة الاهتمام به ليكون ذا قيمة عملية في نجاح التلميذ ورسوبه .

و - الكتب المدرسة : اللغة العربية كسائر اللغات الحية كل لا يتجرا، ولن يستطيع المعلم أن يحقق غرضه إلا إذا تصور اللغة (وسيلة لاغاية) وأنها وحدة متصلة أجزاؤها بعضها ببعض كل الاتصال ، فالقراءة والتعبير والكتابة (الخط والهجاء) والنحو ليست مواد كل منها قائم بذاته ولذا يجب أن يؤلف المعلم بين هذه الفروع تأليفا محكما يصل بها جميعا الى الغاية التي تنشدها .

وكتب الدراسة يجب أن تسير وفق هذه القاعدة بحيث يشمل كتاب اللغة

جميع أجزائها كالتبع في اللغات الأخرى . والكتب الحالية كلها لا تحتاج للمنهج الجديد ولذا يجب أن تؤلف غيرها متفقة مع روح المنهج، ومثل هذه الكتب الجامعة التي نشر بها يرتاح اليها التلميذ كل الارتياح كما أنها تسهل على المدرس مهمته .

وقد قمت شخصيا مع بعض زملائي بتجربتين إحداهما في العام الماضي في التعليم الثانوي والأخرى في هذا العام في التعليم الابتدائي فأخرجنا كتباً مدرسية متمشية مع هذه النظرية فارتاح اليها التلاميذ والمدرسون وأقبلوا عليها إقبالا دينا بعض المفتشين والمدرسين إلى تقليدها يكاد يكون حرفيا وما ذلك إلا لنجاح هذه الخطة في التأليف كما اعتقد .

ولاختيار أصلح الكتب للمنهج الجديد أقترح أن توضع شروط خاصة لتأليفها يعلن عنها في مسابقة عامة يشترك فيها مدرسو اللغة العربية وغيرهم من المهتمين برفع مستوى تدريسها في المدارس ولا يشترك فيها المفتشون الإقليميون شديدة حتى لا يكون للبرجماتيات خطرهما في اختيار كتب قد لا تكون صالحة صلاح غيرها من كتب غير المفتشين .

والخلاصة

أن هذا المنهج خطوة موفقة للنهوض بمستوى تدريس اللغة العربية بمدارس المرحلة الأولى، ولو أمكن تنفيذه بدقة أدى إلى خير النتائج، ولكنني أشك كثيرا في ذلك لأن هناك صعوبات جمة تقف في وجه المنفذين وخاصة في المدارس الأولية . فإذا استطعنا أن نتغلب على هذه الصعوبات كان لنا أن نطمئن كل الاطمئنان إلى خير النتائج التي يوصلنا إليها هذا المنهج . وفقنا الله لما فيه السداد .